بَرنامج التربية الأخلاقية في السنة النبوية

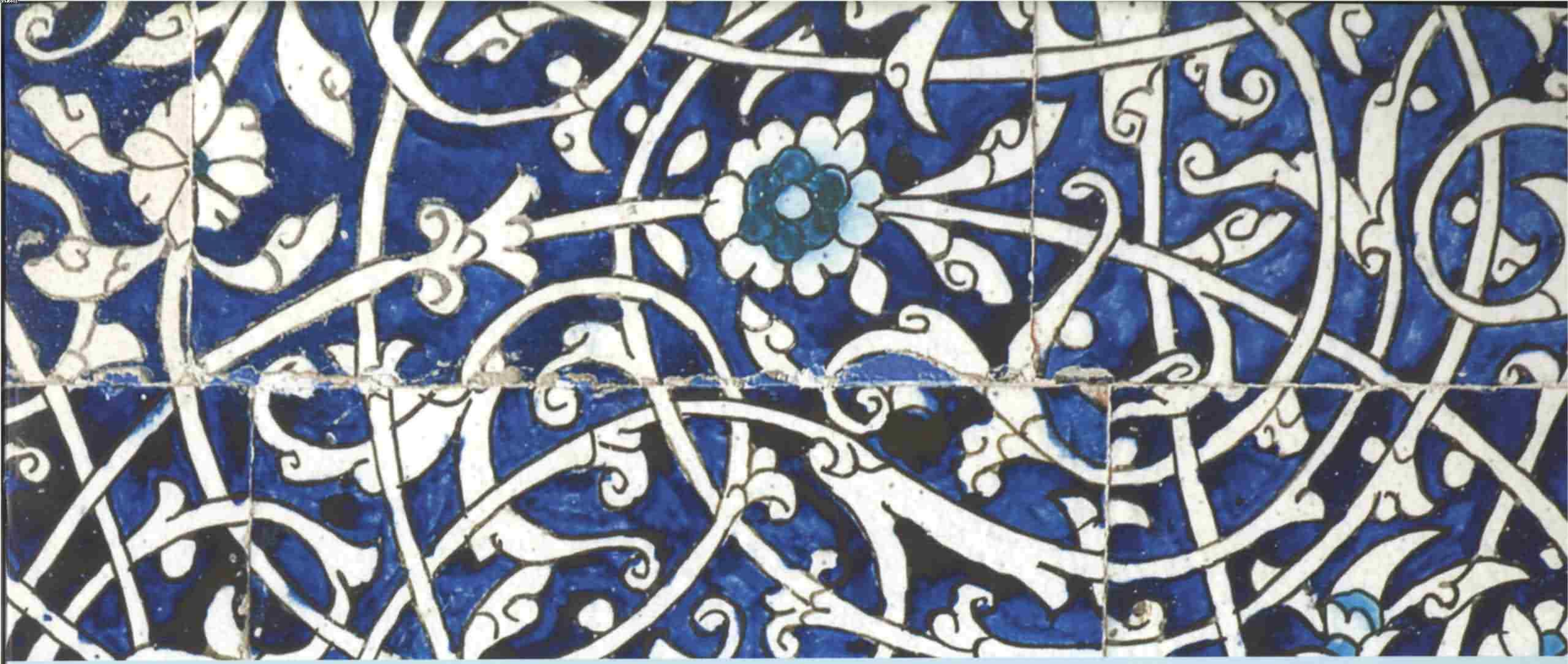
قيمة التواضع

تحت إشراف مفتي الديار المصرية نور الدين

علي جمعة

{ حفظه الله }

IPE
مؤسسة التعليم الأهلي
Institute for Private Education



بسم الله الرحمن الرحیم

رنامج التربية
أخلاقية في
لسنة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (سورة الفرقان: آية ٦٣)

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (سورة الإسراء: آية ٣٧)

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (سورة لقمان: آية ١٨ – ١٩)

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص: آية ٨٣)

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (سورة النحل: آية ٢٣)

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء: آية ٢١٥)

مفهوم التواضع:

التواضع من **وَضَعَ الشَّيءَ** أي **حَطَّهُ وَخَفَضَهُ**، وصيغة تفاعل تدل على الإظهار، كما في **تَغَافَل** أي أظهر **الغَفْلَةَ** وإن لم يكن غافلاً في الحقيقة. فالتواضع ضد الكبر، ويعني إظهار البساطة وإنصاف النفس، فلا **يَدَّعي** لها ما ليس لها ولا **يُخَبِّثُهَا** بالمذلة والهوان.

- ويُظْهِرُ القرآنُ الكريم صورة التواضع في نص موعظة لقمان لابنه، قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١)

- وأمّا عن تواضعه صلى الله عليه وسلم فقد كان المثال والقدوة، كان في تواضعه وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، وينصرف إلى متحدثه بكامل هيئته وأحاسيسه صغيراً كان أو كبيراً، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، وإذا دخل مجلسا جلس حيث ينتهي به المجلس، ولم يأنف يوما من قضاء حاجته بنفسه يذهب إلي السوق ويحمل بضاعته ويقول: أنا أولي بحملها. ويجيب دعوة الحر والعبد والفقير، ويقبل عذر المعتذر، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، ويتعاون مع أهل بيته في أعمالهم وأعماله، كان يرقع ثوبه ويخصف نعله بيده، وكان صلي الله عليه وسلم يكره الإطراء والألقاب. ويقول: ﴿ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاّ عِزا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَد لله إِلاّ رَفَعَهُ ﴾ (٢).

التواضع واحترام العمل:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿ مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاّ رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ. فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ ﴾ (٣). **قَرَارِيطَ: جُزْءٌ مِنَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، يَعْنِي بِالأَجْرِ.**

- وفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه **غرسٌ** لروح احترام العمل الشريف في نفوسهم، وفيه حث على **عدم التأفف** من الأعمال البسيطة **وإيثار** العمل على **البطالة** والتنطع.

- فالنبي صلى الله عليه وسلم يضرب المثل والقدوة من نفسه في العمل والسعي لزيادة الإنتاج، **فَيُذَكِّرُهُمْ بِاشْتِغَالِهِ** بالرعي والتجارة، ثم ينوه على شرف الحرف واحترامها وكرامة اكتساب العمل بمزاولته على البطالة والكسل.

٢. وَعَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَّبِعُ غُبَارَ الْمَسْجِدِ بِجَرِيدَةٍ (٤).

٣. وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿ كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا ﴾ (٥).

٤. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُهُ فَقَالَ: ﴿ أَمَا فِى بَيْتِكَ شَىْءٌ ﴾. قَالَ: بَلَى حِلْسٌ

نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ: ﴿ ائْتِنِى بِهِمَا ﴾. فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللّٰه صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ وَقَالَ: ﴿ مَنْ يَشْتَرِى هَذَيْنِ ﴾. قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ: ﴿ مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ ﴾. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِىَّ وَقَالَ: ﴿ اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِى بِهِ ﴾. فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللّٰه صلى الله عليه وسلم عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ﴿ اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ﴾. فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللّٰه صلى الله عليه وسلم: ﴿ هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِىءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِى وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِى فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِى غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِى دَمٍ مُوجِعٍ ﴾ (٦).

حِلْسٌ: مَا يُوضَعُ عَلَى ظُهُورِ الإِبِلِ تَحْتَ الرَّحْلِ. قَعْبٌ: إِنَاءٌ مِنْ خَشَبٍ مُدَوَّرٍ. مُدْقِع: شَدِيدٌ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الدَّقْعَاءِ وَهُوَ التُّرَابُ.

- فالصحابي جاء يسأل النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم ولم يكن في بيته إلاّ حلس وقعب، وبالرغم من ذلك لم يستبح النبي صلى اللّه عليه وسلم سؤاله طالما أنه يقوى على العمل، ولم يعطه **النبيُّ شيئًا يَسُدُّ بِه حاجتَه، بَلْ** دربه على التفكير العملي التجاري في كسب الرزق والاستعانة عليه بكل سبيل قبل الإقدام على سؤال الناس. فلم يعطه سمكا بل أعطاه صنارة وعلمه الصيد.

- وفيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على خلق فرص عمل للقادرين على العمل، فكثيرا ما أعطى الفقير المحتاج رأس مال ليبدأ تجارة ينميها، أو اشترى له آلة لصناعة يعرفها ويجيدها. فمن أهداف التربية الإسلامية تربية الإنسان العامل.

٥. وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ﴿ لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِىَ بِهِ مِنَ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ﴾ (٦).

تواضعه صلى الله عليه وسلم في مساعدته أهل بيته:

١. وَسَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ (٨).

يَخْصِفُ نَعْلَهُ: يَخْرُزُهَا، مِنَ الخَصْفِ الضَّمّ وَالْجَمْع.

٢. وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلَتُ مَا كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ، قَالَتْ: كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ (٩).

يَفْلِي ثَوْبَهُ: يَتَتَبَّعَ أَيَّ أَذَى يَلْحقُ بِه.

تواضعه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه يلبي دعوتهم ويداعبهم:

١. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لِطَعَامٍ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **قُومُوا فَلأُصَلِّيَ لَكُمْ** ﴾. قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ (١٠).

- وفيه بيان أن من التواضع تلبية دعوة بسطاء الناس والجلوس عندهم والأكل من طعامهم، وإشعارهم بالحب وإدخال الأنس والسرور عليهم.

٢. وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ** ﴾. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلاً دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ لاَ يُبْصِرُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لاَ يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿ **مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟** ﴾ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِذًا وَاللَّه تَجِدُنِي كَاسِدًا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ لَكِنْ عِنْدَ الله أَنْتَ غَالٍ** ﴾ (١١).

٣. وَعَنْ شِهَابِ بْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهُمْ يَقُولُونَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَاشْتَدَّ فَرَحُهُمْ بِنَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ أَوْسَعُوا لَنَا فَقَعَدْنَا، فَرَحَّبَ بِنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَدَعَا لَنَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَقَالَ: ﴿ **مَنْ سَيِّدُكُمْ وَزَعِيمُكُمْ؟** ﴾ فَأَشَرْنَا جَمِيعًا إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ عَائِذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ﴿ **أَهَذَا الأَشَجُّ؟** ﴾ فَكَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ عَلَيْهِ هَذَا

الاسْمُ لِضَرْبَةٍ بِوَجْهِهِ بِحَافِرِ حِمَارٍ، فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. فَتَخَلَّفَ بَعْدَ الْقَوْمِ، فَعَقَلَ رَوَاحِلَهُمْ وَضَمَّ مَتَاعَهُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَ عَيْبَتَهُ فَأَلْقَى عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ بَسَطَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رِجْلَهُ وَاتَّكَأَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ الأَشَجُّ أَوْسَعَ الْقَوْمُ لَهُ وَقَالُوا: هَا هُنَا يَا أَشَجُّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَاسْتَوَى قَاعِدًا وَقَبَضَ رِجْلَهُ: ﴿ **هَا هُنَا يَا أَشَجُّ** ﴾. فَقَعَدَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاسْتَوَى قَاعِدًا، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَلْطَفَهُ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ بِلادِهِ وَسَمَّى لَهُ قَرْيَةً قَرْيَةً: الصَّفَا، وَالْمُشَقَّرِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قُرَى هَجَرَ، فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَسْمَاءِ قُرَانَا مِنَّا. فَقَالَ: ﴿ **إِنِّي قَدْ وَطِئْتُ بِلادَكُمْ وَفُسِحَ لِي فِيهَا** ﴾. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الأَنْصَارِ فَقَالَ: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَكْرِمُوا إِخْوَانَكُمْ فَإِنَّهُمْ أَشْبَاهُكُمْ فِي الإِسْلامِ، أَشْبَهُ شَيْءٍ بِكُمْ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا، أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلا مَوْتُورِينَ إِذْ أَبَى قَوْمٌ أَنْ يُسْلِمُوا حَتَّى قُتِلُوا** ﴾. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحُوا قَالَ: ﴿ **كَيْفَ رَأَيْتُمْ كَرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ لَكُمْ وَضِيَافَتَهُمْ إِيَّاكُمْ؟** ﴾ قَالُوا: خَيْرَ إِخْوَانٍ، أَلانُوا فُرُشَنَا، وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا، وَبَاتُوا وَأَصْبَحُوا يُعَلِّمُونَنَا كِتَابَ رَبِّنَا وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم. فَأَعْجَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَفَرِحَ بِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَجُلاً رَجُلاً فَعَرَضْنَا عَلَى مَا تَعَلَّمْنَا وَعَلِمْنَا، فَمِنَّا مَنْ عُلِّمَ التَّحِيَّاتِ وَأُمَّ الْكِتَابِ وَالسُّورَةَ وَالسُّورَتَيْنِ وَالسُّنَّةَ وَالسُّنَّتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: ﴿ **هَلْ مَعَكُمْ مِنْ أَزْوَادِكُمْ شَيْءٌ؟ فَفَرِحَ الْقَوْمُ بِذَلِكَ وَابْتَدَرُوا رَوَاحِلَهُمْ ...** ﴾ (١٢).

عَيْبَتَهُ: مُسْتَوْدَعَ ثِيَابِهِ. وَطِئْتُ: نَزَلْتُ. مَوْتُورِينَ: مَحْرُوبِينَ.

- وقد بَيَّنَ النص السابق تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وبساطته في مجالسة وفد عبد القيس وحسن استقبالهم، فقد سألهم عن زعيمهم، وعندما أتى **عَدَّلَ النبيُّ مِنْ جِلْسَتِهِ وَاسْتَوَى قَاعِدًا، فَرَحَّبَ بِهِ** وسأله عن بلاده، ثم النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بإكرام الوفد وحسن ضيافتهم، ثم يأتي بعد ذلك ليسأل الوفد كيف كانت ضيافة إخوانكم. فهو يأمر بالقيم الأخلاقية ثم يتابع تنفيذها ويراقب الالتزام بها.

٤. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلاً الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ (١٣).

الْتَقَمَ أُذُنَهُ: وَضَعَ فَمَهُ عَلَى أُذُنِهِ لِلتَّنَاجِي.

٥. وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿ **هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ** ﴾ (١٤).

الْقَدِيدُ: اللَّحْمُ الْمُمَلَّحُ الْمُجَفَّفُ فِي الشَّمْسِ.

- كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع رفعة مكانته وعلو منزلته متواضعا لأصحابه قريبا منهم، **مُعَلِّمًا** إياهم **أَنَّ عُلُوَّ** الإنسان **ومحبَّتَهُ** إنما **تَحْصُلُ** في قلوب الناس بالتواضع لهم وليس بالاستعلاء عليهم.

٦. وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: « كُلْ - جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ - مُتَّكِئًا ؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَأَصْغَى بِرَأْسِهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: **﴿ لاَ، بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ﴾** (١٥).

٧. وَعَنْ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي تَمِيمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ احْتَفَزَ، وَقَالَ: **﴿ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ﴾** (١٦).

احْتَفَزَ: اسْتَوَى جَالِسًا عَلَى وَرِكَيْهِ.

التواضع ضد الكبر:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبر، وشدد النكير على المتكبرين، وأخبر بسوء مآلهم في الدنيا والآخرة. وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (١٧).

- **مفهوم الكبر:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ (١٨).

بَطَرُ الْحَقِّ: دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا. وَغَمْطُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ.

- **النهي عن إظهار الكبر في المأكل والملبس:**

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **﴿ لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا ﴾** (١٩).

بَطَرًا: تَكَبُّرًا وَطُغْيَانًا.

٢. وفي أول أبواب كتاب اللباس في صحيح البخاري بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ ﴾**. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ (٢٠).

هوامش قيمة التواضع

١. سورة لقمان: آيات ١٧- ١٩.
٢. مسلم (كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب العفو والتواضع) ٢٠٠١/٤ ، رقم(٢٥٨٨).
٣. البخاري (كتاب الإجارة - باب رعي الغنم على قراريط) ٨٨/٣ ، رقم (٢٣٠٦) .
٤. مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الصلاة - في كنس المساجد) ٣٣٨/٣، رقم (٤٠٤١) .
٥. مسلم (كتاب الفضائل - باب من فضائل زكرياء) ١٨٤٧/٤، رقم (٢٣٧٩) .
٦. أبو داود (كتاب الزكاة - باب ما يجوز فيه المسألة) ٣٦٣/٢، رقم (١٦٣٨) .
٧. مسلم (كتاب الزكاة - باب كراهة المسألة للناس) ٧٢١/٢ ، رقم (١٠٤٢) .
٨. البُخاري في الأدب المفرد ص١٩٠، رقم (٥٣٩)، مسند أحمد ٢٦٩/٤١، رقم (٢٤٧٤٩).
٩. مسند أحمد ٢٦٣/٤٣، رقم (٢٦١٩٤).
١٠. موطأ مالك (كتاب قصر الصلاة في السفر - باب جامع سبحة الضحى) ١٥٣/١، رقم (٣٦٣)، البخاري (كتاب الصلاة - باب الصلاة على الحصير) ٨٦/١ ، رقم (٣٨٢).
١١. مسند أحمد ٩٠/٢٠ ، رقم (١٢٦٤٨). ومصنف عبد الرزاق ٤٥٤/١٠ ، رقم (١٩٦٨٨) .
١٢. مسند أحمد (بقية حديث وفد عبد القيس)٣٢٧/٢٤ ، رقم (١٥٥٥٩) ، البخاري في الأدب المفرد (١١٩٨) ، الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/٨. وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.
١٣. أبو داود (كتاب الأدب - باب في حسن العشرة (٢٧٣/٥، رقم (٤٧٦١).
١٤. ابن ماجه (كتاب الأطعمة - باب القديد) ١١٠١/٢، رقم (٣٣١٢). والحاكم في المستدرك (كتاب المغازي والسرايا) ٥٠/٣، رقم (٤٣٦٦) وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه » .
١٥. أبو الشيخ: أخلاق النبي وآدابه ٣٩٣/١، رقم (١٤٠) . وإسناده ضعيف ، لكن الحديث صحيح؛ فإن له شاهدا مرسلا صحيحا أخرجه أحمد في الزهد.
١٦. مصنف عبد الرزاق ٤١٥/١٠، رقم (١٩٥٤٣).
١٧. سورة النحل: آية ٢٣.
١٨. مسلم (كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه) ٩٣/١، رقم (٩١). ومسند أحمد ٣٣٨/٦، رقم (٣٧٨٩) وفيه: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلاً وَرَأْسِي دَهِينًا وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيدًا - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ حَتَّى ذَكَرَ عِلاَقَةَ سَوْطِهِ - أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ، ذَاكَ الْجَمَالُ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَازْدَرَى النَّاسَ.
١٩. البخاري (كتاب اللباس - من جر ثوبه من الخيلاء) ١٤١/٧، رقم (٥٨٤٧).
٢٠. البخاري (كتاب اللباس - باب ١) ١٤٠/٧.

IPE
مؤسسة التعليم الأهلي
Institute for Private Education

Tel.: (+965) 24613894 / 24613895 - Fax: (+965) 24613905 - 24613905
www.ipe.com.kw